﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾ [الطّور: 21 - 24]

❁ مناسبةُ الآيات لِما قبلَها:

بيان زيادة الفضل والإكرام على أهل الجنّات

بعد أن ذَكَر تعالى في الآيات السّابقة ما يتمتّع به أهلُ الجنّة من المطاعم والمشارب والأزواج كرمًا منه وفضلًا؛ أردف ذلك بذِكْر ما زاده لهم من الفضل والإكرام في هذه الآيات، وهو أن يُلْحِق بهم ذرّيّتَهم المؤمنة في المنازل والدّرجات، وإن لم تبلغ بهم أعمالُهم ذلك، لِتَقَرَّ بهم أعينُهم إذا رأوهم في منازلهم على أحسن الأحوال"[1].

ومنها: لمّا فرغ من ذِكْر أهل الجنّة على العموم ذَكَر حالَ طائفةٍ منهم على الخصوص بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾.

❁ شرحُ المفردات:

1) ﴿أَلۡحَقۡنَا﴾: (لحق) أصلٌ يدلُّ على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره[2]. واللَّحَقُ: كُلُّ شيءٍ لَحِقَ شيئًا أو ألْحَقْتَه به، من النَبات ومن حَمل النَخل، وذلك أن يُرطِب ويُتمِر ثمّ يخرُجُ في بَعضِه شيءٌ أخضَرُ قَلَّ ما يَرْطُبُ حتّى يُدركَه الشّتاء[3]. يقال: لحِقَهُ ولَحِقَ به لَحاقًا، أي: أدركه، وألْحَقَهُ به غيرُه[4]. واللّحق ما يُلْحَق بالكتاب بعد الفراغ منه،

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 25.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لحق).
(3) الخليل، العين: (لحق).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (لحق).

فتُلْحِق به ما سقط عنه[1]، وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: 101] أي: اجعلني من عِدادهم وداخلًا في زمرتهم[2].

2) ﴿أَلَتْنَاهُم﴾: (ألت) أصلٌ يدلّ على النّقصان[3]. يقال: ألَتَهُ حَقَّهُ يَألِتُهُ ألْتًا، أي: نَقَصَهُ. وألَتَهُ أيضًا: حبَسَهُ عن وجهه وصرفه[4]. والألْتُ النَّقْص[5]، وقيل: ألاتَني عن حَقّي، أي: صَرَفَني عنه[6]. والمراد به في الآية الكريمة: ما أنقَصْناهُم[7].

3) ﴿رَهِينٌ﴾: (رهن) أصل يدلّ على ثبات شيء يُمسك بحقّ أو غيره[8]. وكلّ أمرٍ يُحْتَبَسُ به شيءٌ فهو رُهْنُهُ، ومُرْتَهَنُه، كما أنّ الإنسانَ رهينُ عَمَلِه[9]. وأصل المادّة للدّلالة على الحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: محتبسٌ بعمله، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: 38] أي: محبوسة، والرّهن: محبوس على الدّين المرهون به[10]. وهو ما وُضِع عند الإنسان ممّا ينوب منابَ ما أُخِذ منه[11].

4) ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾: (مد) أصلٌ يدلّ على جَرِّ شيء في طول، واتّصال شيء بشيء في استطالة. ومدّ النّهرُ، ومَدّه نهرٌ آخر، أي: زاد فيه وواصله فأطال مُدّته. وأمددتُ الجيش بمَدَد. ومنه مددت الإبلَ مدًّا: أسقيتُها الماءَ بالدّقيق أو بشيء تمدّه به[12]. والمَدُّ: كَثرةُ الماء أيّامَ المُدودِ. ومَدَّ النَّهرُ، وامتَدَّ الحَبْلُ، هكذا قالتهُ العَرَب. والمَدَدُ: ما أمدَدْتَ به قومًا في الحربِ وغيره من الطّعام والأعوان[13]. يقال: مددتُ الأرضَ مدًّا إذا زِدْتَ فيها ترابًا أو سمادًا من غيرها، ليكون أعمرَ لها وأكثرَ ريعًا لزرعها[14]. وما كان من الخير يقال:

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (لحق).
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (لحق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ألت).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (ألت).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ألت).
(6) الخليل، العين: (ألت).
(7) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 194.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رهن).
(9) الخليل، العين: (رهن).
(10) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (رهن).
(11) ابن منظور، لسان العرب: (رهن).
(12) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مد).
(13) الخليل، العين: (مدد).
(14) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مدد).

أمددتُه، وما كان من الشّرّ، فهو مددتُهُ، فالإمدادُ في المحبوب، والمَدُّ في المكروه نحو: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥﴾ [المؤمنون: 55][1]. والمراد به في الآية الكريمة: زدناهم[2].

5) ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: (نزع) أصل يدلُّ على قلع شيء[3]. ونازَعْتُهُ مُنازَعَةً ونزاعًا، إذا جاذَبْتَه في الخصومة. وبينهم نِزاعَةٌ، أي: خصومةٌ في حقٍّ[4]. والمُنازَعَةُ: المُجاذَبَة[5]، ومنازعة الكأس: معاطاتُها. قال الله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[6]؛ أي: يَتَعاطَوْن والأصل فيهِ يتجاذَبون. ويُقالُ: نازَعني فلانٌ بَنانَه، أي: صافَحَني. والمُنازعةُ: المُصافَحة، والمُجاذَبةُ في الأعْيانِ والمَعاني[7]. والمراد به في الآية الكريمة: التّعاطي، أي: يتعاطَون هم وقرناؤهم[8].

6) ﴿لَغْوٌ﴾: (لغو، لغا) أصلٌ يدلّ على الشّيء لا يُعتدّ به[9]، لَغا يَلْغو لَغْوًا، أي: قال باطلًا. يقال: لَغَوْتُ باليمين[10]. وهو السَّقَط وما لا يعتدّ به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع[11]. وما كان من الكلام غير معقود عليه[12]. وهو الكلام الذي يورد لا عن رويّة وفكر، وقد يسمّى كلُّ كلامٍ قبيح لغوًا. قال: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥﴾ [النّبأ: 35][13]. والمراد به في الآية الكريمة: لا يتكلّمون بلَغْوِ الحديث[14].

7) ﴿تَأْثِيمٌ﴾: (أثم) أصلٌ يدلّ على البُطء والتّأخّر. يقال: ناقة آثمة، أي: متأخِّرةٌ.

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات: (مدد، مد).
(2) البيضاويُّ، أنوار التّنزيل: 5/ 154.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نزع).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (نزع).
(5) الرّاغب، المفردات: (نزع).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نزع).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (نزع).
(8) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 194.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لغو).
(10) الجوهريّ، الصّحاح: (لغا).
(11) ابن منظور، لسان العرب: (لغا).
(12) الأزهريّ، تهذيب اللغة: (لغا).
(13) الرّاغب، المفردات: (لغا).
(14) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 154.

والإثم مشتقّ من ذلك؛ لأنّ ذا الإثم بطيء عن الخير متأخّر عنه[1]. وأَثَّمَهُ تأْثيمًا: قالَ له أثِمتَ، قال تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[2]، أي: لا مَأثمٌ فيها ولا سُكرٌ، وهذا بخلافِ خمورِ الدّنيا؛ فإنَّ فيها ما يحملُ على كلِّ إثمٍ[3]. وتَأَثَّمَ، أي: تَحَرَّجَ من الإثمِ وكفَّ عنه[4]. والمراد به في الآية الكريمة: لا يأثمون بشُرب الخمر[5].

8) ﴿مَّكْنُونٌ﴾: (كن، كنن) أصلٌ يدلّ على ستر أو صون. يقال: كننتُ الشّيء في كِنّه، إذا جعلتَه فيه وصِنْتَه[6]، وكلّ شيء وقى شيئًا فهو كِنّه وكنانه. وكننته أكنه كنًّا: جعلته في كِنٍّ[7]. يقال: كننت الشّيء: سترته وصنته من الشّمس. وأَكْنَنْتُهُ في نفسي: أسررته[8]. والكِنُّ: ما يحفظ فيه الشّيء. يقال: كَنَنْتُ الشّيء كَنًّا: جعلتُه في كِنٍّ، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصّافات: 49]، ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾[9]. والمراد به في الآية الكريمة: مصونٌ بالكَنّ والغِطاء[10].

❁ المعنى الإجماليّ:

تكريم المؤمنين بجمع ذراريهم معهم في النّعيم الدّائم

يبشّر الله تعالى المؤمنين بأنّ مَن تبعهم من ذرّيّتهم على الإيمان سيُلْحَقون بهم برتبتهم ومكانتهم في الجنّة، حتّى لو لم يبلغوا نفسَ درجتِهم في العمل، إكرامًا لهم وتسريةً لقلوب الآباء، فيجتمعون في منازل واحدة على أكمل وجه، دونَ أن يُنقص من أجر أحدٍ من آبائهم. فكلُّ إنسانٍ مسؤول عن عمله وحسب، لا يُحَمَّلُ ذنبَ غيره.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أثم).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (أثم).
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (أثم).
(4) الخليل، العين: (أثم).
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 154.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كن).
(7) الخليل، العين: (كن).
(8) الجوهريّ، الصّحاح: (كنن).
(9) الرّاغب، المفردات: (كن).
(10) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 383.

وإنّ الله تعالى يزيدهم من نعيم الجنّة بما لذّ وطاب ممّا يشتهون. وإنّهم يتبادلون ويتعاطَون فيما بينهم كؤوسًا من شراب لذيذ، خالٍ من الإثم واللّغو، بخلاف خَمرِ الدّنيا. ويقوم على خدمتهم غلمانٌ مخصَّصون لهم، في غاية الجمال والنّقاء، كأنّهم لؤلؤٌ مصون، يدورون بينهم لخدمتهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

إلحاق الذّرّيّة بمنازل الآباء في الجنّة

افتتح النّظمُ الجليل الجملةَ بالواو في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ وهي هنا استئنافيّة، فالجملة مستأنَفَةٌ مسوقةٌ لبيان حال طائفة من أهل الجنّة، وهم الذين اتّبَعَهم أبناؤهم وذرّيّتُهم في الإيمان[2]. وجوّزَ البعضُ أن تكون عاطفة؛ فعطف ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على قوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾، ويكون المعنى: قرنّاهم بأزواج حورٍ ليتمتّعوا مَرّةً بالحور، وقرناهم أيضًا برفقاءَ مؤمنين تارةً أخرى؛ ليتمتّعوا بمُؤانسة الإخوان، وتكون استقامة المعنى بكون التّزويج مجازًا[3].

دلالة التّعبير بالاسم الموصول وصلتِه:

منقبة ذكرهم الإيمانَ الذي توارثوه

عبّر النّظم الجليل بالاسم الموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ واضعًا إيّاه موضع الضّمير، وذلك للتّنويه بما في حيّز الصّلة، فهو إيماءٌ إلى أنّ الإيمان المذكور في الصّلة هو العِلّة في الحُكم الذي سيتلوه، فسببُ إلحاقِ ذرّيّة المؤمنين بهم في نعيم الجنّة هو إيمانهم السّابق، وأنّه هو المُسبّب لإيمان ذرّيّاتهم؛ لأنّ الآباء المؤمنين يُلَقّنون أبناءَهم الإيمان[4].

(1) جماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 524.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 148.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 246.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 48.

سرّ التّعبير بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دون (المؤمنون):

الإشعار بعِلّة فضل اتِّباعِ الذّرّيّة للآباء

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دون (المؤمنون)؛ للإشعار بعِلّة الفضل الوارد في الآية من اتباع الذّرّيّة للآباء، وسببُ ذلك: الإيمانُ الذي رسخ في قلوبهم وتمكَّن منهم.

نُكْتَةُ التّعبير بالفعل الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾:

تحقّق إيمانهم وحصولِه ورسوخِه في قلوبهم

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالفعل الماضي في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾؛ للدّلالة على تحقّق إيمانهم وحصولِه ورسوخِه في قلوبهم.

نُكْتَةُ حَذْفِ متعلّق الإيمان:

إطلاق الإيمان يتناول كلَّ ما يجب الإيمانُ به

حذف النّظمُ الجليل متعلِّقَ الإيمان في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ دون أن يقول: (آمنوا بالله ورسوله)؛ وذلك ليكون عامًّا فيتناول كلّ ما يجب الإيمان به، كالبعث والحساب والجنّة والنّار، أي: إنّهم آمنوا بكلّ ذلك.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾:

إيمان الآباء ومتابعةُ الأبناء سبيلُ الجمع بينهما في الجنّة

عطف النّظمُ الجليل قولَه: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾ على الفعل ﴿ءَامَنُواْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾[1]؛ وذلك لأنّ المؤمنين إذا اتّبعتهم ذرّيّتُهم في الإيمان فإنّ الله تعالى تفضّل عليهم بأن يجمع بعضَهم مع بعض، فيُلْحَق الأبناءُ بالآباء في المنزلة والمكانة تفضُّلًا منه، لِتَقَرَّ بهم أعينُهم جميعًا[2].

دلالة التّعبير بالاتّباع مادّةً وصيغةً:

الذّرّيّةُ تقفو أثرَ الآباءِ وترتسم بإيمانهم

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ الاتّباع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾؛ للدّلالة على تتّبع الذّرّيّة لآثار آبائهم،

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 23.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 26.

فالاتّباع هو تقفّي الأثرِ والارتسام به[1]، فالذّرّيّة يتّبعون آباءهم في الإيمان والصّلاح، فالآباء تركوا آثارًا يسترشد بها الأبناء، وجاء التّعبير بالفعل الماضي تحقيقًا للمعنى، وتأكيدًا لحصوله.

أثرُ تعدّدِ القراءات في قوله: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾، جاء في مجموعه بأربعة قراءات قرآنية، فقرأ أبو عمرو ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ﴾، بإسناد الفعل إلى ضمير العظمة، وقرأ (ذرّيّات) الموضعين بالجمع مع كسر التّاء: ﴿ذُرِّيَّٰتِهِم﴾، وقرأ الباقون ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ﴾ بالإسناد إلى الذريّة، ومنهم من قرأ (ذُرّيّات) بالجمع، ومنهم من أفرد[2].

ووجه قراءة: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ﴾ أنّ (أتبع) هنا فعلٌ منقول بالهمزة من (تبع)، يقال: تبع فلانٌ الشّيءَ وأتبعْتُه إيّاه؛ فهو يتعدّى إلى مفعولين لما نقل بالهمزة؛ فالمفعول الأوّل هو الضّمير المنصوب في ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ﴾، والمفعول الثّاني قولُه: ﴿ذُرِّيَّٰتِهِم﴾، والمعنى: جعلناهم تابعين لهم في الإيمان، وأمّا من قرأ ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ﴾؛ فهو على أنّ (اتّبع - تبع) كلاهما واحد في المعنى، والفعل للذّرّيّة؛ فلذلك ألحق تاء التّأنيث الفعل، وأمّا من أفرد في (الذّرّيّة) وجمع؛ فالمعنى ظاهر؛ لأنّ الذّرّيّة قد تكون واحدة، وقد تكون جمعًا[3].

دلالة التّعبير بلفظ الذّرّيّة دون الأبناء:

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ الذّرّيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ دون الأبناء؛ لأنّ لفظ الذّرّيّة أعمُّ؛ فيُطْلَق على نسل الرّجل وما توالد منه ومن أبنائه وبناته، وهي اسمٌ للنّسل،

من نِعَم الرّحمن جَـمـعُ المـؤمـنِ بذرّيّته وإكرامُه بهم في معيّته

(1) الرّاغب، المفردات: (تبع).
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 273، 377، والقاضي، البدور الزّاهرة: 2/ 862.
(3) ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها: 3/ 1212.

وتشمل الصّغارَ والكبار منهم، ويستعمل للواحد والجمع[1]، بخلاف الأبناء فهو أخصّ من ناحية النّوع، حيث يُطلق على كلّ ما وُلِد ذكرًا، ومنظور فيه إلى الاختصاص بالنّسب ومداومة الصّحبة، ولمّا كان المقام هنا مقامَ امتنان، كان التّعبيرُ بالذّرّيّة هو الأوفق للسّياق؛ لذلك ذكره هنا في هذه الآية لبيان أنّ الله تعالى أنعم عليهم بأن سَرّهم بأنواع المسرّات، ومنها: أن يجمعهم بأولادهم ونسلهم، فإنّ من طبع الإنسان التّأنّسَ بأولاده وذُرّيّته[2].

دلالة الباء في قوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾:

الإيمان عِلّة الإنعام وسُلّم التّكريم

عبّر النّظمُ الجليل بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾؛ لأنها دالّة على السّببيّة، أي: بسبب إيمانٍ رفيع القَدْر، وهو إيمانُ الآباء، فإيمانُهم هو عِلّة الإلحاق بهم[3]. ويجوز أن تكون الباء للملابسة، والمُراد: كونُ الذّرّيّة متلبِّسةً بإيمانٍ استقلاليٍّ أو تبعيٍّ. والمعنى على السّببيّة أولى[4].

دلالة القيد بقوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾:

الإيذان بثُبوت الحُكم في الإيمان الكامل أصالةً لا إلحاقًا

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بقيد الإيمان في قوله: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾؛ للإيذان بثُبوت الحُكم في الإيمان الكامل أصالةً لا إلحاقًا، والمعنى: واتبعتهم ذُرّيّتُهم بإيمانٍ قاصر عن رُتبة إيمان الآباء؛ إمّا بنفسه بناءً على تفاوت مراتب نفس الإيمان، وإمّا باعتبار عدم انضمام أعمالٍ مثلِ أعمال الآباء إليه[5].

نُكْتَةُ تنكير (إيمان):

من لطائف المولى تعالى قَبولُه أدنى إيمانٍ من عباده

آثَر النّظمُ الكريم ذِكْر لفظِ الإيمان بالتّنكير في قوله جلّ شأنه:

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (الذّرّيّة).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 49، وانظر: العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 316.
(3) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 194.
(4) القنوجيّ، فتح البيان: 13/ 224.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 27/ 32.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾؛ وذلك لدلالته على قَبول أدنى درجات الإيمان، فالتّنكير هنا دالٌّ على التّقليل، أي: بشيء من الإيمان[1]، كما أنّه يَحْتَمِل أن يكون مُرادًا به التّعظيم[2]، وإنّما عظّم الإيمانَ لكثرة أعمالهم الصّالحة، فتكون كثرةُ الأعمال شرطًا في إلحاقهم بآبائهم[3].

دلالة التّعبير بالإلحاق:

عبّر النّظمُ الجليل بالإلحاق في قوله جلّ شأنه: ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ دون الإدخال؛ وذلك لما في الإلحاق من دلالة على أن يكون الإلحاق على الفور أو على التّأخير، إذ قد يكون بعضُ الذّرّيّة نال عقابًا في النّار على ما استحقّه بسيّئاتِه، والإلحاق يقتضي أنّ الذّرّيّات صاروا في درجات آبائهم. وهذه المعاني لا يُدَلُّ عليها لو قال: (أدخلنا معهم ذرّيّتهم)[4]، فالإلحاق أعمّ من الإدخال.

الإلحاق يشمل إدخالَ الجنّة بعد العقاب المستَحَقّ، وتسويةَ الدّرجات

نُكْتَةُ إسناد فعلِ الإلحاق إلى ضمير العظَمة:

أسند النّظمُ الجليل فعلَ الإلحاق إلى نون العظَمة في قوله جلّ شأنه: ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ تعظيمًا لنعمة الإلحاق، أي: نلحقهم بآبائهم بما لنا من العظَمة.

تعظيم نعمةِ الإلحاق

سرّ التّعبيرِ بالاتّباع في الدّنيا والإلحاق في الآخرة:

عبّر القرآنُ الكريم بالاتّباع في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ في الدّنيا، وأمّا في الآخرة فقال: ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ﴾؛ وذلك لأنّ في الدّنيا لا يُدْرِك الصّغيرُ التّابع مساواةَ المتبوع، وإنّما يكون هو تبعًا والأبُ أصلًا لفضل السّاعي على غير السّاعي، وأمّا

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 50.
(2) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 194.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 48.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 50.

في الآخرة فإذا ألحق الله بفضله ولده به، جعل له من الدّرجة مثلَ ما لأبيه[1].

دلالة التّعبير بالباء في ﴿بِهِمْ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ دونَ المعيّة؛ لأنّ التّعبير بالباء يدلّ على شدّة التّلبّس، ويكون المعنى: يُسْكِنهم مع آبائهم وأمّهاتهم؛ وذلك لتَقرّ بهم عيونُهم، وهو تتميم لمَسَرّتهم بجعلهم معهم في الجنّة[2].

المقصود من الإلحاق المصاحبةُ والمعيّة في المقام والرّتبة

دلالة تقديم شِبه الجملة على المفعول به:

قدّم النّظمُ الجليل شبهَ الجملة ﴿بِهِمْ﴾ على المفعول به في قوله جلّ شأنه: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، دون أن يقول: (ألحقنا ذرّيّتهم بهم)؛ لأنّ الآباء الذين آمنوا هم المقصودون بالتّكريم بهذا الإلحاق، فنبَّه بالتّقديم على الغاية من الإلحاق.

الآباء هم المقصودون بالتّكريم

دلالة التّعبير بالواو في قوله: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾:

عطف النّظمُ الجليل قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ على قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، فعطف انتفاءَ النّقصانِ على الإلحاق؛ ليُنَبِّه على أنّ إلحاق الأبناء بآبائهم لن يُحْدِث نقصًا من أجورهم، ولا من درجاتهم[3]. ويجوز أن تكون الواو حاليّةً، أي: ألحقناهم بهم في حالة انتفاء النّقصان في الأجور، والفائدة من ذلك الاحتراسُ من ظنّ وقوعِ النّقصان بسبب الإلحاق، وذلك بأن يُظنّ أنّهم أُلحِقوا بهم بعد عطائهم نصيبًا من حسنات آبائهم، ليُدْخَلوا به الجنّة، فنبّه على أنّ الإلحاق محضُ تفضّل منه تعالى[4].

إلحاقُ الذّرّيّة فضلٌ محضٌ من الله تعالى

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 511.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 247.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 15.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 50.

دلالة التّعبير بـ﴿أَلَتْنَـٰهُم﴾ مادّةً وصيغةً:

لا يُنقِص الله تعالى من ثواب الآبـاء بعطائه للأبناء

عبّر النّظم الجليل بالفعل (ألت) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾؛ للدّلالة على أنّه تعالى لا يُنقِص من ثواب الآباء بعطائه للأبناء، بل يعطيهم ثوابَ أعمالهم كاملًا من دون نقص؛ تكرّمًا منه سبحانه؛ لأنّ الإلحاق في حدّ ذاته عطاءٌ من الله تعالى تفضُّلًا وإحسانًا[1]. فهو احتراسٌ فائدتُه بيانُ أنّ جزاء الآباء لم يُنقص شيئًا.

دلالة التّعبير بـ﴿مِّنْ﴾:

لا يُنقص الله من أجور الآباء شيئًا ولو كان يسيرًا؛ تطييبًا لقلوبهم

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ ﴿مِّنْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾، وهي هنا للتّبعيض، أي: ما نقصنا من أجور أعمالهم بعضًا منها[2]، أو شيئًا يسيرًا منها، وفي ذلك تطييبٌ لقلوبهم، وإزالةُ وهْمِ المُتوهّم أنّ ثوابَ عملِ الأبِ يوزَّع عليه وعلى ولده، بل للوالد أجرُ عملِه بفضل السّعي، ولأولاده مثلُ ذلك فضلًا من الله ورحمةً[3].

دلالة التّعبير بقوله: ﴿مِّنْ عَمَلِهِم﴾ دون (من أجرهم):

آثَر القرآنُ الكريم التّعبير بقوله: ﴿مِّنْ عَمَلِهِم﴾ ولم يقل: (من أجرهم)؛ وذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم﴾ دليلٌ على بقاء عملهم كما كان، والأجر على العمل مع الزّيادة، فيكون فيه الإشارةُ إلى بقاء العمل الذي له الأجر الكبير الزّائد عليه، العظيمُ العائد إليه، ولو قال: ما ألتناهم من أجرهم، لكان ذلك حاصلًا بأدنى شيء؛ لأنّ كلّ ما يعطي الله عبدَه على عمله هو أجرٌ كامل[4].

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 194.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 51.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 511.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 511.

نُكْتَةُ إضافةِ العمل إلى ضميرهم:

أضاف النّظمُ الجليل لفظَ العمل إلى ضمير الغائب العائد على المؤمنين من الآباء في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾؛ للدّلالة على أنّه العمل الذي نشأ منهم، وصدر عنهم، بعد هدايتهم ورَشَدهم[1]، وفي هذا حثٌّ للمؤمنين على القيام بالعمل الصّالح لنيل الجزاء عليه في الآخرة، وليكون شفيعًا لذُرّيّته من بعده.

الله لا يُضيع أجرَ من أحسن عملًا من عباده

غرض تقديم شبه الجملة ﴿مِّنْ عَمَلِهِم﴾:

قدّم النّظمُ الجليل شبه الجملة ﴿مِّنْ عَمَلِهِم﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾، دون أن يقول: (وما ألتناهم شيئًا من عملهم)؛ لأنّ العمل كلّيّة أهمُّ من الشّيء الذي يُنقَص؛ لأنّه هو المقصود بنفي النّقصان.

العمل وحفظُه أهمّ في السّياق من الشّيء الذي يُنقَص

دلالة التّعبير بـ ﴿مِّن﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ ﴿مِّن﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿مِّن شَىْءٍ﴾؛ لأنّه جيءَ بها في سياق النّفي لتأكيده، وللدّلالة على الإحاطة والشّمول[2]، فلا يقع نقصانٌ أيٌّ نقصانٍ كان.

نفيُ النّقصانِ مؤكَّدٌ عامّ شامل لكلّ شيء

نُكْتَة تنكير ﴿شَىْءٍ﴾:

عبّر النّظم الجليل بلفظ الشّيء بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾؛ للدّلالة على أنّه لم ينقصهم شيئًا مهما كان قليلًا، بل قد تفضّل عليهم بجزاء الكلّ مع الزّيادة عليهم، وذلك بإلحاقهم بالآباء تفضّلًا منه، وإحسانًا من لدنه[3].

لا يُنقِص الله تعالى من أجور المؤمنين شيئًا وإنْ قلّ

دفعُ توّهمِ تعارضِ هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾:

قد يَتَصوَّر البعضُ أنّ رفع درجاتِ الذّرّيّة والانتفاعَ بعمل الآباء

(1) النّخجواني، الفواتح الإلهيّة: 2/ 358.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 51.
(3) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 358.

يتعارض مع قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النّجم: 39]، والأمر ليس كذلك؛ لأنّ الآية إنّما دلّت على نفي مُلك الإنسانِ لغير سعيه، ولم تدلّ على نفي انتفاعِه بسَعي غيره، وبينهما فرقٌ ظاهر. وممّا يُذْكَر أيضًا في هذا المقام: أنّ السّعي الذي حصل به رفعُ درجاتِ الأولاد ليس للأولاد، ولكنّه من سعي الآباء، وأيضًا: أنّ إيمانَ الذّرّيّة كان هو السّبب الأكبرُ في رفع درجاتهم؛ لأنّهم لو كانوا كفّارًا لما حصل لهم هذا الإلحاق[1].

السّعي الذي حصل به رفعُ درجاتِ الأولاد المؤمنين ليس للأولاد، إنّما لآبائهم

نُكْتَةُ فصلِ قوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾:

فصل النّظمُ الجليل قولَه جلّ شأنُه: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ عمّا سبقها؛ لأنّها مستأنفةٌ استئنافًا تعليليًّا[2]، سيقت لتعليل ما قبلها، أي: لم نُنقِصهم شيئًا من عملهم لأنّ كلّ امرئٍ مقرون بما كسب[3]، ولأنّها جملةٌ معترضة بين جملة ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم﴾ وبين جملة ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾، قُصِدَ منها تعليلُ الجملةِ التي قبلها[4].

ارتهانُ كلِّ امرئٍ بعمله

دلالة التّعبير بلفظ ﴿كُلُّ﴾:

عبّر النّظم الجليل بلفظ ﴿كُلُّ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾؛ للدّلالة على عموم الحُكم، فهو يشمل المتّقين والمؤمنين وغيرَهم من النّاس[5]. والتّعبير بالعموم يدلّ على أنّ مضمون الخطاب حكمٌ عامّ في الخلائق، وهو من عدل اللّه تعالى بين خلقه. وفي التّعبير به تحذيرٌ لكلّ من تُسَوّل له نفسُه المعصيةَ، وأنّه لا يُحاسَب عليها.

عَـدْلُ الله عامٌّ شـامـلٌ لـكـلّ خَلْقِه

(1) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 10/ 378.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 149.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 51.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 51.
(5) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 114.

سرّ التّعبير بلفظ ﴿ٱمۡرِئٖ﴾ مع دلالة التّنكير:

الـكـلّ أمـامَ موازينِ القِسْط سواءٌ

آثَر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ ﴿ٱمۡرِئٖ﴾ في قوله: ﴿كُلُّ ٱمۡرِئِۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾؛ لأنّه لفظٌ يحمل معنى المروءة؛ فهو أدعى للالتزام بالطّاعات والبُعْد عن المعاصي، وجاء مُنكّرًا ليَشملَ كلَّ أحدٍ من المؤمنين والمُتّقين وغيرهم[1]؛ وذلك لما في النّكرة من دلالةٍ على العموم، وهو أنسبُ لسياق الجملة المستأنَفَة الدّالّة على حُكْمٍ عامٍّ، ومُصَدَّرةٍ بلفظ العموم ﴿كُلُّ﴾.

سرّ التّعبير بالباء في ﴿بِمَا﴾:

المَرء لا ينفكّ عن عمله خيرًا أو شرًّا

عبّر النّظمُ الجليل بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُّ ٱمۡرِئِۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾؛ لأنّها دالّةٌ على المقابلة، أي: إنّه مُرتَهَنٌ بِكَسْبِه، وموفًّى من الجزاء على قدر استحقاقه[2]. كما أنّها تدلّ على الإلصاق في كلّ حال، أي: أنّ كلّ شخص "مرهونٌ بعمله عند الله تعالى، إن عملَ صالحًا فكَّها، وإلّا أهْلَكَها"[3]، فكلّ امرئٍ ملتصقٌ بعمله مُرتَهَنٌ به لا ينفكّ عنه.

سرّ التّعبير بـ (ما) في قوله: ﴿بِمَا﴾:

الإنسان مرهونٌ بكسبه

عبّر النّظمُ الجليل بـ (ما) في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُّ ٱمۡرِئِۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾، وهي هنا صالحة أن تكون مصدريّةً، أي: ارتهنوا بكسبهم، ويجوز أن تكون موصولةً[4]، فيكون المعنى: أنّهم ارتبطوا بذات العمل الذي عملوه، وعلى كلا الاعتبارين فإنّ المراد أنّهم اقترنوا بجزاء هذا الكسب؛ لأنّ الجزاء هو ما يقترن بصاحب العمل، أمّا العمل نفسُه فقدِ انقضى في الدّنيا[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 15.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 15.
(3) الإيجيّ، جامع البيان: 4/ 202.
(4) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 287.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 51.

فائدة تقديم شبهِ الجُملة:

لا يحاسَب المَرءُ إلّا على كسبه

قدّم النّظمُ الجليل شبهَ الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ دون أن يقول: (رهينٌ بما كسب)؛ وذلك للدّلالة على الحصر، فهو لا يرتَهِنُ بشيء سوى عملِه، وهذا دلالةٌ على العدل في الحساب يوم القيامة.

دلالةُ التّعبير بالكسب مادّةً وصيغةً:

سعيُ الإنسانِ مقصودٌ به تحقيقُ المكاسبِ والمنافع

عبّر النّظم الجليل بالكسب في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾؛ لأنّه يُطلَق على الفعل العائد على فاعله بنفع أو ضُرّ، فهو لفظ عامٌّ يطلق على الأعمال التي يتحرّاها الإنسان، وهي تقتضي اجتلابَ نفعٍ، وتحصيلَ حظٍّ[1]، فالأعمالُ التي يُحاسَبُ عليها النّاسُ هي ما قصدوه وما أتَوا به لطلب المنفعة، فهم يعملون تلك الأعمالَ بعِلْم وحِرْص لتحقيق المنافع[2]. وممّا يُذْكَر في سِرّ التّعبير به: أنّه يُشير إلى العمل الصّالح؛ لأنّ المراد بما كسبوا جزاء ما كسبوا؛ لأنّه الذي يقترن بصاحب العمل، أمّا نفس العمل فقدِ انقضى في الدّنيا[3].

دلالة التّعبير بـ﴿رَهِينٌ﴾ مادّةً وصيغةً:

المَـرءُ محبوس مـع عـمـلـه لا ينفكّ عنه

عبّر النّظم الجليل بلفظ الرّهن في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾؛ لأنّه يدلّ على ثبات شيء يمسك بحقّ أو غيرِه[4]. فدلّ على أنّ كلّ امرئ مرتَهَنٌ محبوس، فإمّا أن تُنجيَه أعمالُه الصّالحة، وإمّا أن تهلكَهُ أعمالُه السّيّئة[5]. وهو عبّر عنه بصيغة (فعيل) بمعنى (فاعل)، أي: ثابتة مقيمة. أو بمعنى (مفعول)، أي: كلّ أحد مقام

(1) الرّاغب، المفردات: (كسب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 51.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 51.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رهن).
(5) ابن جزيّ، التّسهيل: 2/ 312، 313.

في جزاء ما قدّم من عمله[1]. وكونه بمعنى الفاعل "أنسبَ بالمقام فإنّ الدّوام يقتضي عدمَ المفارقةِ بين المَرء وعملِه، ومن ضرورته أن لا ينقصَ من ثواب الآباء شيء"[2].

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿رَهِينٌ﴾:

شُبّهَ المُكلّفُ بالرّهن، والعملُ الصّالح بالدّين

تظهر بلاغةُ الاستعارة في قوله: ﴿رَهِينٌ﴾، بأنّه شُبّهَ المُكلّفُ بالرّهن، والعملُ الصّالح شُبّه بالدّين؛ فإن عملَ صالحًا فَكّه، كما أنّ المديون فَكّ رهنَه بأداء دَينه، وإلّا أهلكها، كما أنّ المديون أهْلَكَ رهنَه بعدم أداء دَينه[3].

دلالة الواو في قوله: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾:

إلحاق الذّرّيّة متبوعٌ بزيادة ومَدَد

عطف النّظم الجليل الإمدادَ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ على الإلحاق في قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[4]، ولطيفةُ ذلك: أنّه تعالى أخبر أنّ عدم النّقصان ليس بالاقتصار على حفظ الرُّتبة والمكانة، بل إنّه يكرمهم بالزّيادة والإمداد[5].

دلالة التّعبير بـ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾ مادّةً وصيغةً:

زيادة النّعيم دائمةٌ في دار السّلام والكرم

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ الإمداد في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ للدّلالة على الزّيادة ممّا هو خير وقتًا بعد وقت[6]، أي: زدناهم على النّعيم والأكل والشّرب الهنيء المذكور فاكهةً ولحمًا ممّا يشتهون[7]، ولم يُعَبّر بالمَدّ لأنّه يستعمل في الشّرّ أو الإعانة عليه. وممّا يُذْكَر في دلالة التّعبير بالإمداد: أنّه لمّا قال قبل ذلك: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ ونفى النّقص، وهو يكون

(1) الرّاغب، المفردات: (رهن).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 149.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 248.
(4) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 288.
(5) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 114.
(6) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 194.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 52.

بحصول المُساوي؛ فأراد القرآنُ أن يقول: الأمرُ ليس كذلك، بل فيه زيادةٌ وإمداد؛ فكان التّعبير بالإمداد من باب دَفْع توهّم الذي يَرِد في الخاطر، وجاء التّعبير بصيغة الفعل المضارع للدّلالة على تجدّد الزّيادة والإمداد.

نُكْتَةُ إسنادِ فعلِ الإمداد إلى ضمير العظَمة:

إمـــدادُ اللـه عظيم يتناسب مـــع عـظـمـتـه سبحانه

أسند النّظمُ الجليل فعلَ الإمداد إلى نون العظَمة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ﴾؛ للدّلالة على عظَمة الزّيادة، أي: أمددناهم بما لنا من العظَمة[1]. وفي هذا إشارةٌ إلى كثرة المَدَد وتنوّعِه كمًّا وكيفًا.

سِرّ التّعبير بالإضمار في قوله: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾:

جاء التّعبيرُ بالإضمار في قوله: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾ دونَ الإظهار؛ ليعودَ للآباء والأبناء، وهذا دليلٌ على تفضّله وتكرّمِه سبحانه على الآباء والأبناء؛ فلم يفرّق بينهما في الإمداد.

دلالة الباء في قوله: ﴿بِفَٰكِهَةٍ﴾:

الإنعام متّصلٌ دائـمٌ ملتصقٌ بأهل الجِنان

عبّر النّظمُ الجليل بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ﴾؛ لأنّها دالّةٌ هنا على الإلصاق[2]. فزيادةُ النّعمةِ بالفاكهة واللّحم تَصِلُهم وتلتصِقُ بهم تعبيرًا عن تمام النّعمة.

سرّ التّعبير ﴿بِفَٰكِهَةٍ﴾ دونَ فواكه:

اسـم الجنس يـشـمـل كـلّ الفواكه

آثَر النّظمُ القرآنيّ التّعبيرَ بقوله: ﴿بِفَٰكِهَةٍ﴾ دونَ فواكِه؛ لأنّها اسمُ جنسٍ تشمل كلّ الفواكه؛ بخلاف الجمع؛ فقد يخرج منه بعضُ الأفراد، والمقامُ مقامُ امتنان؛ فناسبَ التّعبيرُ باسم الجنس (فاكهة).

نُكْتَة تنكير (فاكهة) و(لحم):

تـنـوّعُ تـنـوُّعُ النّعمةِ وكثرتها من مزيد الإكرام والامتنان

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الفواكه واللّحم بالتّنكير في قوله

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 17.
(2) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 27/ 52.

جلّ شأنه: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ﴾؛ للدّلالة على كثرتها وتنوّعها، أي: هي نعمة كثيرة لا تنقطع[1].

فائدة تقديم الفاكهة على اللّحم:

لا جوعَ في الجنّة إنّما هي تفكُّهٌ وتنعّم

قدّم النّظمُ الجليل الفاكهةَ على اللّحم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ﴾؛ وذلك لأنّهما إذا قُدِّما للجائع، فإنّ نفسه تميل إلى اللّحم، أمّا الشّبعانُ فتميلُ نفسُه إلى الفاكهة، وأهلُ الجنّة إنّما يأكلون لا من جوع، بل للتّفكّه، فميلُهم إلى الفاكهة أكثر، فقدّم للتّنبيه على ذلك[2]، ولأنّ تقديم الفواكه هو الأصلُ في التّنعّم والتّلذّذ.

دلالة (مِنْ) في قوله: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾:

تحقيق الرّضا بالإمداد بما رغبوا واشْتَهوا

عبّر النّظمُ الجليل بحرف (مِنْ) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ لأنّها دالّةٌ على البيان، أي: فاكهة ولحم من جنس ونوع ما يشتهون من فنون النّعماء، وضروبِ الآلاء[3].

دلالة التّعبير بـ (ما) في قوله: ﴿مِّمَّا﴾:

كلّ مشتهياتهم من عموم الأطعمة وافرٌ دائم

عبّر النّظمُ الجليل بالاسم الموصول (ما) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ لدلالته على العموم والشّمول، أي: لعموم أنواع الفواكه واللّحوم[4]. فكلُّ ما يشتهونه من عموم الفواكه واللّحوم وافرٌ دائم.

دلالةُ التّعبير بالاشتهاء مادّةً وصيغةً:

تحقيقُ غاية المشتهي إحسانٌ وفضل من الله تعالى

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالاشتهاء في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ دون الحُبّ؛ لأنّ الشّهوة عبارةٌ عن توقان النّفسِ وميلِ الطّباع إلى المشتهى، وفي هذا إكرامٌ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 60.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 444.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 60، 61.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 61.

لهم بتلبية ما يشتهون، وللدّلالة على أنّ ما يُمَدّون به يحقّق لهم الرّضا؛ لخُلوِّه ممّا لا يعجبُهم، فهو مشتهًى لهم[1]. وفيه إشارةٌ إلى أنّ كلّ ما يشتهونه يكون أمامَ أعينهم، فيختارون منه ما يشاؤون، ولم يُعَبّر بالحُبّ؛ لأنّ الشّهوة تتعلّق بالمَلَذّات فقط؛ بخلاف الحُبّ فإنّه يتعلّق بالمَلذّات وغيرها[2]. وعبّر بالفعل المضارع للدّلالة على دوام إكرامهم، وتلبية مشتهاهم.

نُكْتَةُ فصل قوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾:

التّنعّمُ بالفاكهة واللّحم واقعٌ في حالة المنادمة

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾؛ لأنّها جملةٌ حاليّة من المفعول به في: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾[3]، أي: إنّهم "يشربون مُتجاذِبين مجاذبةَ المُلاعبةِ؛ لفَرْط المَحبّة والسّرورِ، وتحليَة المُصاحبة"[4].

دلالة التّعبير بـ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

تعاطي الكأسِ وتداولُها بين الجالسين من نعيم الصّحبة

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ التّنازع في قوله جلّ شأنه: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾؛ للدّلالة على تداولهم الكأس فيما بينهم، وتعاطيهم لها، كما ينزع الرّجلُ القويّ الدّلوَ من البئر ويناولُها لمَن حوله[5]. وممّا يُذْكَر في دلالة التّعبير أنّه يُصوّر حالةَ المجاذبةَ وتنازعَ الكؤوسِ بين الجالسين في مجلس شرابِها، فيتبادلونها في شوق ورغبة ونزوع أنفسِهم إليها، وممّا يؤكد ذلك: أن صيغة ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ بهذا التّفاعل تُصوّر ذلك المشهد[6]. وجاء التّعبير بالفعل المضارع للدّلالة على دوام ذلك وتجدّده، واستحضارِ مشهدِ تعاطي الكؤوس.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 17.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 139.
(3) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 114.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 17.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 52.
(6) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 9/ 566.

نُكْتَةُ تقديمِ شبهِ الجملة ﴿فِيهَا﴾:

شـرفُ مـكـانِ الجنّة أهمُّ ممّا يَحْدُث فيه

قدّم النّظمُ الجليل شبهَ الجملةِ ﴿فِيهَا﴾ على المفعول به في قوله جلّ شأنه: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾، دون أن يقول: (يتنازعون كأسًا فيها)؛ لأنّ موطنَ التّنازعِ وهو الجنّة هو الأهمّ في بيان حُسْنِ ذلك الإنعام والإمداد والتّنازع. كما أنّ تأخير الكأس فيه تشويقٌ لذِكْره بجَعْلِ الأسماع تتطلّع إلى ذلك الذي وقع فيه التّنازعُ.

دلالةُ التّعبير بالظّرفيّة:

تعاطي الكؤوسِ وتجاذبُ الجُلَساءِ في الجنّة يكون في مشهدٍ ظاهر أمامَ الأعينِ

دلّ التّعبيرُ بالظّرفيّة في قوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا﴾ على أنّ تعاطيَ الكؤوسِ وتجاذبَ الجُلَساءِ بها يكون في مشهدٍ ظاهر في الجنّة أمامَ الأعينِ، من باب مزيد الإنعام والإكرام؛ بخلافِ التّعاطي في الدّنيا؛ فإنّه يكون خُفيَة وليس ظاهرًا.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿كَأْسًا﴾ بالإفراد مع دلالة التّنكير:

الفخامة ظاهرة في هذه الكؤوس

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالكأس مفردًا مُنكّرًا في قوله جلّ شأنه: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾؛ للدّلالة على فخامة الكأس وحُسْنِها العظيم، وليس المرادُ أنّهم يتناولون من كأس واحدة، بل من كؤوس عديدة؛ لذا عبّر بالمفرد؛ لأنّ المراد جنسُ الكأس[1].

بلاغة المجاز في التّعبير عن الخمر بالكأس:

الخمر مَقرُّها الكأسُ، فسمّيت باسم مقرّها

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ الكأس في قوله جلّ شأنه: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾؛ للدّلالة على الخمر، وذلك على طريقة المجاز، وذلك لعلاقة المَحلّ، فسمَّى الخمرَ باسم محلّها وهو الكأس[2]، من باب المجاز المُرْسَل، وهو من إطلاق اسم المَحلّ على الحالّ؛ لأنّ التّناول والتّعاطي ليس للكأس، بل لما حلّ فيها، ولذلك أنَّثَ الضّمير في قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 53.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 149.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بالجملة المنفيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾؛ لبيان صفة الكأس، أي: أنّ صفة هذه الخمرِ أنّه لا يقع بسببها لغوٌ أو تأثيم، والمعنى: أنّها لا يخالط شاربيها اللّغوُ والإثمُ بالسّباب والضّربِ ونحوِه، فهي ليست كخُمور الدّنيا[1].

خمر الجنّة مَحْضُ تلذّذٍ لا لغوَ فيها ولا باطل

سرّ نفي اللّغوِ دونَ غيره في قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾:

خصّ القرآنُ الكريم نفيَ اللّغو من الكلام دون غيره؛ لأنّه يُطْلَق على ما لا يُعتدّ به؛ حيثُ يخرج من المتكلّم لا عن رويّة وفكر، بسبب السُّكْرِ الموجود في خمر الدّنيا الذي يُذْهِب العقلَ؛ فجاء بهذا النّفي ليُفرّق بين خمرِ الدّنيا وخَمرِ الآخرة.

التّفريق بين خمر الدّنيا وخمر الآخرة

سرّ النّفي بـ ﴿لَّا﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بحرف النّفي ﴿لَّا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾، دون غيره من حروف النّفي؛ لأنّها تدلُّ على المبالغة في النّفي؛ وذلك لأنّهم عَهِدوا في خمر الدّنيا الغوائلَ التي تنتاب شاربها، فنفى ذلك عن خمر الجنّة[2].

ليس في خمر الجنّة ما عُهِدَ في خمر الدّنيا من مساوئ

نُكْتَةُ تنكير ﴿لَغْوٌ﴾ و﴿تَأْثِيمٌ﴾:

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن نفي اللّغو والتّأثيم في قوله جلّ شأنه: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ بالتّنكير دونَ التّعريف؛ فلم يقل: لا اللّغو فيها ولا التّأثيم؛ لشمول جميع أنواعِ اللّغو والتّأثيم، فهي لا يعقبُها شيءٌ من ذلك على الإطلاق. وممّا يُذْكَر في دلالة التّنكير إفادةُ العموم؛ لأنّهما جاءا في سياق النّفي؛ فأفاد ذلك نفيَ اللّغو والتّأثيم مطلقًا، وهذا من كمال الإنعام، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنّه يلزم من نفي اللّغو والتّأثيم وجودُ القولِ الطّيب والذّكرِ الحَسَن.

جميع أنواعِ اللّغو والتّأثيم منفيٌّ عن شراب أهل الجنّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 53.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 17.

دلالة تكرار التّعبير بالظّرفيّة ﴿فِيهَا﴾:

اللّغو يتسبّب عن الشّرب لا عن الخمر بذاتها

تكرّر التّعبير بالظّرفيّة ﴿فِيهَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾؛ وذلك لاختلاف المُراد بكلٍّ منهما؛ فالأوّلى: المراد بها في الجنّة، والمعنى: يتعاطَون في الجنّة؛ أمّا الثّانية: فتعود إلى الكأس، ويكون المعنى: لا يتكلّمون بلغو الحديث في أثناء شربها، ولا يفعلون ما يُؤْثَم به فاعلُه، كما هو عادة الشّاربين في الدّنيا. وهي هنا للظّرفيّة المجازيّة، فاللّغو ليس في الخمر، بل في شربها، أي: بسبب الشّرب[1].

نُكْتَةُ تقديمِ اللّغوِ على التّأثيم:

اللّغوُ قولٌ، والتّأثيم فِعْلٌ، والقول أسبق من الفعل

قدّم النّظمُ الجليل اللّغوَ على التّأثيم في قوله جلّ شأنه: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾؛ وذلك لأنّ اللّغو هو لغو الحديث وسَقْط الكلامِ، وهو ما يصدر عن خلل العقل بعد تناول الخمر، أمّا التّأثيم فهو ما يُؤْثَم فاعلُه، ويُنْسَب إلى الإثم[2]، وعليه فإنّ اللّغو قول، والتّأثيمَ فعل، فقدّم القولَ على الفعل لأنّه يأتي قبلَه.

دلالة تكرار (لا) في قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾:

نفي اللّغو والتّأثيم عن شراب أهل الجنّة في كلّ الأحوال

دلّ تكرارُ (لا) على التّأكيد واستقلال كلّ منهما؛ فنفيُ اللّغوِ أمرٌ مستقلٌّ، ونفي التّأثيم أمرٌ مستقلٌّ، وفيه إشارةٌ إلى نفيهما معًا؛ فلا لغو ولا تأثيم لا في حالة الانفراد ولا في حالة الجمع.

دلالة العطف في قوله: ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾:

الجنّة ليست دارَ تكليفٍ

عُطِفَ قولُه: ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ على قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾؛ للإشارة إلى أنّ الشّاربين لا يفعلون ما يُؤْثَم به كما كان في الدّنيا، ولا يُنسَب فاعلُ ذلك إلى الإثم في الآخرة؛ لأنّها ليست دارَ تكليف.

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 8/ 104.
(2) الإيجي، جامع البيان: 4/ 202.

أثر تعدّدِ القراءات في قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾:

في قوله تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ قراءتان؛ الأولى: بالفتح فيهما من غير تنوين: ﴿لَّا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمَ﴾، قَرَأ بها ابْنُ كَثيرٍ والبَصْريّانِ، والثانية: بالرفع فيهما من غير تنوين[1]، قرأ بها الباقون. ووجه من قرأ بالفتح من غير تنوين على أن ﴿لَّا﴾ نافيةٌ للجنس تعمل عمل (إن)، والمراد النّفيُّ العامّ؛ أمّا على قراءة الرّفع والتّنوين؛ فـ ﴿لَّا﴾ تعمل عمل (ليس)، ويكون لفظ ﴿لَغْوٌ﴾ مرفوع على أنّه اسم (ليس) وفيها خبره، وقوله: ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ معطوف على الاسم، واكتُفِيَ عن خبر الثّاني بخبر الأوّل[2].

دلالة عدمِ ذِكْر الظّرفيّة مع قوله: ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾:

جاء التّعبير القرآنيُّ بعدم ذِكْر الظّرفيّة مع التّأثيم ﴿فِيهَا﴾ كما ذُكِر مع اللّغو في قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾؛ وذلك اكتفاء بما سبق، ولأنّ اللّغو يحدث أثناءَ شربِها؛ أمّا الإثمُ فهو بسبب شربها، هذا في الدّنيا؛ أمّا في الآخرة فلا يوجد إثمٌ؛ لأنّها ليست دارَ تكليفٍ ولا محاسبة.

دلالة الواو في ﴿وَيَطُوفُ﴾:

تنازع الكأسِ واقعٌ مع طواف الغِلمان

عطف النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ على الجملة في قوله تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾؛ وذلك لأنّه حالٌ آخر معطوف على الحال الذي قبلَه، وهو متمِّمٌ له[3]؛ وذلك لبيان أنّ الإمداد بما يشتهون من الفواكه واللّحم يكون في حالة تنازعهم الكأسَ وتعاطيهم إيّاها، وطوافِ الغِلمان عليهم لخدمتهم.

(1) القاضي، البدور الزّاهرة: 2/ 862.
(2) ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات: 3/ 1213.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 54.

دلالة التّعبير بالطّواف مادّةً وصيغةً:

تـردُّدُ الغِلمان على أهل الجنّة بشكلٍ متكرّر

عبّر القرآنُ الكريم بالطّواف في قوله: ﴿وَيَطُوفُ﴾؛ لأنّه يدلّ على المشي المُتكرّر ذهابًا ورجوعًا، وأكثرُ ما يكون على الاستدارة؛ لأنّ شأنَ مجالسِ الأحبّة والأصدقاء أن تكون حِلَقًا ودوائر ليستووا في مرآهم، كما أشار ذلك قولُه: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾. وجيء به في صيغة المضارع للدّلالة على التّجدُّد والتّكرّر، أي: ذلك لا ينقطع بخلاف لذّات الدّنيا فإنّها لا بدّ لها من الانقطاع بنهاياتٍ تنتهي إليها؛ فتُكَرِّه لأصحابها الزّيادةَ منها، لما تحملُه من عواقب نفسيّة وبدنيّة.

نُكْتَةُ تعديَة فعلِ الطّواف بـ(على):

نعيمُ الجنّةِ لا نصبَ فيه ولا تعب

عدّى النّظمُ الجليل فعلَ الطّوافِ بحرف الجَرِّ (على)، وهو دالّ على الاستعلاء في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾؛ وذلك للدّلالة على تمكّن الطّواف منهم، وهذا يدلّ على كثرته. كما أنّه يُشير إلى أنّهم مخدومون تأتيهم الأطعمةُ والأشربة، وهم جالسون بلا عناء. وفي التّعبير به إشارةٌ إلى وجود سقاةٍ مخصوصين يقومون على خدمة شاربيها، كأنّها وظيفةٌ لهم يناولونهم ما فيه لَذّاتُهم.

نُكْتَةُ حَذْفِ متعلّق عالطّواف:

لدلالة السّياق عليه

حذف النّظمُ الجليل متعلِّقَ فعلِ الطّواف في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾، فلم يقل: (يطوف عليهم غلمانٌ لهم بكأس)؛ وذلك اعتمادًا على ظهوره ولسبق ذِكْره في قوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾، فلمّا تقدّم ذِكْرُ ما شأنُه أن يُطاف به هنا، تركَ ذِكْرَه بعد فعل الطّواف[1].

نُكْتَةُ تقديمِ شبهِ الجملة ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

المقصودُ بالامتنان تكريمُ أهلِ الإيمان

قدّم النّظمُ الجليل شِبهَ الجملة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على الفاعل في قوله

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 55.

جلّ شأنه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾، فلم يقل: (ويطوف غلمانٌ عليهم)، من باب تكريمهم والاهتمام بهم؛ وذلك لأنّ (هم) المقصودون بالطّواف.

سرُّ التّعبيرِ بالغِلمان دون الأولاد:

الغِلمان مناسبٌ لأداء وظيفة الجمال والقوّة

أوثِر التَّعبيرُ بالغِلمان؛ لأنّه يُطلَق على الشّباب حين بلوغِهم سِنّ النّكاح أو كاد أن يبلغها، وهو ما يتناسب مع هذه الوظيفة من القوّة وجمالِ المنظر؛ بخلاف الأولاد فإنّه يُطلَق على المولود وعلى الصّغير بالسّنّ، وهو غير مناسبٍ لأداء هذه الوظيفة التي يُرجَى فيها الجمال والقوّة.

نُكْتَةُ تنكير ﴿غِلْمَانٌ﴾:

مخاطبة النفس بأفضل ما تحب من كثرة من يقومون على خدمتهم

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الغِلمان بالتّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾، ولم يقل: (غلمانهم)؛ لأنّ تعريفهم بالإضافة أو اللّام هنا قد يوقِع الوَهْمَ بأنّهم الغِلمان الذين كانوا يخدمونهم، فسيُشْفق مَن كان خادمًا لأحدٍ في الدّنيا أن يكون خادِمًا له في الجنّة، فيَحْزَنُ بأنّه لا يزال تابعًا. كما أفاد التّنكيرُ أنّ كلّ مؤمنٍ دخلَ الجنّة سيجد له خَدَمًا لم يعرفْهم قبلَ ذلك[1]، فهم غِلمانٌ مخلوقون خَلْقًا جديدًا خاصًّا لخدمة أهل الجنّة.

دلالة اللّامِ في قوله: ﴿لَّهُمْ﴾:

الاختصاص لهم دونَ غيرهم بالخِدمة

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجَرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾؛ وهي هنا دالّةٌ على الاختصاص، أي: هم مخصوصون بهم[2]. وفيه إشارةٌ إلى قدرتهم على التّصرّف فيهم بالأمر والنّهي والاستخدام، كما هو المشهور في تعاملهم في الدّنيا.

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 115.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 104.

بلاغة التّشبيه في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾:

جمال الوَجه من جمال التّنعّم

شبّه النّظمُ الجليل الغِلمانَ باللّؤلؤ المكنون في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾؛ وذلك للدّلالة على حُسْن المَرأى[1]، فحُذِفَ وجهُ الشّبهِ ليَعُمّ كلّ الصّورِ التي يمكن أن تفهم من تشبيه أحدٍ باللّؤلؤ، كالنّعومة واللّطف والجمال وحُسْن المنظر. والفائدةُ من ذلك كلّه بيانُ عِظَم الإكرام وجميلِ الإحسان. واختار اللّؤلؤ لكونه معلومًا لنا؛ وإلّا فالفَرْق بينهما واسعٌ؛ فشتانَ ما بين لؤلؤ الدّنيا ولُؤلؤ الجنّة.

نُكْتَةُ تنكير ﴿لُؤْلُؤٌ﴾:

تفخيم اللّؤلؤِ وتعظيمُه

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن اللّؤلؤ بالتّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾؛ لما في التّنكير من تفخيم وتعظيم، فهم مِثلُ لؤلؤٍ عظيمٍ في المنظر وحُسْنِ المَرأى.

نُكْتَةُ وصفِ اللّؤلؤ بأنّه ﴿مَّكْنُونٌ﴾:

الدّلالة على كمال حُسْنِه وصَونِه من العوارض

وصف النّظم الجليل اللّؤلؤَ بأنّه مكنون في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾؛ وذلك للدّلالة على أنّه لؤلؤ في غاية الصّون، فهم مِثلُ لؤلؤٍ مصون في الصّدف، فإنّه لا يُخْزَن إلّا الثّمينُ الغالي القيمة، واللّؤلؤُ المكنون نقيُّ البياض صافي اللّون[2]، فهو وصفٌ لبيان كمال الحُسْن.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 55.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 149.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"